قصة قصيرة

عشاء الساعة الثامنة

بقلم : أزيكيل امغاليلي
تقديم وترجمة : محمد جلال عباس

يعتبر ازيكيل امغاليلي عميد كتاب جنوب أفريقيا لشهرته العالمية ولغزارة إنتاجه . وهو من أوائل الكتاب الذين تصدوا لنظام الفصل العنصري (ايارتايد) فلقى اضطهاداً شديداً دفعه إلى الهجرة المبكرة فاتجه إلى نيجيريا حيث إشتغل مدرساً بشعبة الفنون الجميلة بجامعة ايبادان ، وإنتقل إلى باريس ليتفرغ للعمل في مؤتمر الحرية الثقافية ، ولما استقلت كينيا سافر إلى نيروبي وأقام فيها مرسماً وقضى زمناً في لندن ، واستقر به المقام أخيراً في جزر الهند الغربية .

وهو إلى جانب كونه فناناً تشكيلياً فإنه كاتب قصة وروائي وكاتب سياسي وناقد أدبي ، وهو وإن كان من الكتاب السود إلا أنه يعارض فكرة الزنوجة ويرى أنها نوع من العنصرية المضادة التي يرفض أن يتهم بها الافريقيون . ولذلك فهو ينادي المجتمع وثقافة تجمع بين التراث الافريقي وعناصر الحضارة الغربية ، لا تفرق بين أبيض وأسود .

ولكن رغم هذه النظرة المعتدلة التي تدعو إلى سلام بين البيض والسود ، فإنّه يعارض حكومة البيض ، بل كان من أوائل الكتاب الذين هاجموا سياسة الفصل العنصري التي فرضتها حكومة الاقلية العنصرية البيضاء في جنوب أفريقيا . وتنعكس هذه المعارضة في كثير من قصصه القصيرة التي نقدم هنا إحداها.

كان الموعد يوم الاثنين ، كان لقاء محتوماً بين شخصين ، فتاة بيضاء تدعى الآنسة برينجل كان لا بد لها أن تقابل شخصاً من السود لولعها الشديد به وإشفاقها البالغ عليه ، وذلك الشاب الأسود ويدعى امزوندي كان لا بد له أن يقابلها لسبب آخر .

كانت مس برينجل تبذل جهداً كبيراً لكسب صداقة أناس من غير البيض ، تخصهم بابتساماتها الرقيقة تفتر بها شفتاها في صمت ، وكان امزوندي يكره تلك الابتسامات الصامتة ، أو لعله اعتقد أنها صادرة عن السلطة وهو يكره السلطة في شخص كل إنسان أبيض لأنه لم يكن قادراً على الفصل بين البيض والسلطة .

في صبيحة ذلك اليوم دعت مس برينجل امزوندي إلى مكتبها وقالت له من خلال ابتسامتها المعهودة :

ـ أنت مدعو إلى شقتي هذا المساء يا امزوندي ، لانني أريد أن اتحدث معك فيما يشغل بالك من أمور ، لعلني استطيع تقديم يد العون لك .

رد عليها امزوندي من فوره :

ـ لا استطيع ، أنا . . .

وتوقفت الكلمات في حلقه وامتنع لسانه عن النطق بعد ذلك فقالت له :

ـ أجلس . . ألا تريد أن تجلس ؟

ـ شكراً يا سيدتي .

وأخذ يعدل قميصه من تحت إبطه كما لو كان يحاول إخفاء عاهته ، ونظرت إليه قائلة :

ـ هذه هي المرة الخامسة التي أدعوك فيها فترفض ، ألن تغير رأيك ؟

فرد عليها بشيء من الإصرار :

ـ لا يا سيدتي .

وأشاح بوجهه وهو يقول هامساً :

ـ ألن تتركني هذه السيدة البيضاء ؟ أنا لا أريد منها شيئاً .

فأخذت تخاطبه بشيء من الصرامة وبصوت مرتفع فاجأته به :

ـ ما حكايتكم أيها السود . . إن مشكلتكم أنكم تشعرون بالنقص أتظنون أنكم لستم أكفاء للبيض ، أم أنكم تظنون أنكم أفضل منهم ؟ يتحدث الكثيرون عنكم قائلين : إنكم ستظلون كالدواسات على الأبواب إن لم تغيروا من سلوككم .

وصمتت قليلاً ثم عاودت الحديث قائلة بصوت هادىء :

ـ أنا أصر على دعوتك إلى الحضور ، فعليك أن تحضر ، أرجوك أن تحضر لأجل خاطري ، لا من أجلك .

فلم يرد عليها ، وأخذ يتفحصها بطرف عينيه ، ولكنها عادت فقالت :

ـ سوف أحضر لآخذك بسيارتي . . الساعة السابعة . . وهو كذلك ؟ . . . سنتناول العشاء معاً في الثامنة تماماً .

كان امزوندي يفكر طول الوقت ويتعجب من إصرارها وإلحاحها وهو صامت ، ولم يرد عليها فعاودت الحديث :

ـ في الأسبوع الماضي فقط كان عندي عدد من الأصدقاء الملونين على العشاء ، ويوم الاربعاء القادم ـ بعد غد ـ أتوقع بعض الزوار الافريقيين ، هذا أمر عادي بالنسبة إليّ .

ظل امزوندي واقفاً مستنداً إلى عكازه تحت إبطه ، وعيناه ساكنتان كعيني الحية المستسلمة للسكون التام في حرارة الشمس ولكنها يقظة على أهبة الاستعداد لدفع أي ضرر عن نفسها . وانتظرت مس برينجل رده ، ولكن صَمْته طال واستمر مما جعلها تشعر بأن كبرياءها قد خدش وفكرت في نفسها : فهي ابنة قسيس شهير ، وهي امرأة يحيط بها الكثير من السود مبهورين إعجاباً بها ثم يأتي هذا الأعرج المشلول المدعو امزوندي فيعرض عنها هكذا ، ويظهر اللامبالاة بها وبدعوتها بينما هو في أشد الحاجة إلى صداقة من يأخذ بيده .

كانت مؤسسة تأهيل المعوقين قد استوردت الآنسة برينجل من مدينة الكاب خصيصاً لكي تدير مركز التأهيل الذي كان امزوندي احد نزلائه يتدرب على أعمال الحياكة ليتكسب منها كغيره من نزلاء هذا المركز . واعتُمِد في توظيف مس برينجل على شهادات التقدير وخطابات الشكر التي حصلت عليها من مؤسسات عديدة مماثلة عملت فيها . وتضمنت تلك الشهادات والخطابات عبارات تصفها بالخبرة الفائقة في شؤون الوطنيين ، وشدة التعاطف مع العجزة والمعوقين ؛ وبعض الخطابات وصفتها بأنها شخصية جذابة محبوبة . ولكن الكثير من التقارير السرية من رؤسائها السابقين وإن كانت تؤكد كفايتها إلا أنها كانت تذكر بعض الاستثناءات مثل قول احدهم « ولكنها شديدة المراس » وقول آخر « ولكنها شديدة الإلحاح وانفعالية ، وقول ثالث بصراحة شديد « شخصية كريهة ولكنها نشيطة في العمل » .

أما هي فقد اعتادت أن تلقي الضوء على بعض ما تراه في نفسها من مقوِّمات معينة كأن تكتب في مقدمات تقاريرها عبارات مثل : « من خبرتي بالافريقيين . . . » أو « بعد اشتغالي في خدمة السود والملونين زمناً طويلاً . . » أو « حينما رأستُ لجنة كذا » أو « حينما قمت بعمل كذا وكذا » إلى غير ذلك من العبارات التي تدَّعي بها العلم والخبرة والدراية . ولنأخذ مثلاً تقريرها عن امزوندي حيث تذكر فيه : « إنه أحد النزلاء عندي ، لا يثق بالآخرين ، غامض ، ولكنه عاجز لا حول له ولا قوة ، ولا بد أن يبقى في المركز ثلاثة أشهر على الأقل ، وإني اتعجب من أمره وأتساءل : من الذي أحدث به هذه الإصابة الشنيعة . حقاً ، لقد أرسل إليّ طبيب المستشفى تقريراً عن حالته ، ولكنه لم يذكر شيئاً عن طبيعة الإصابة أو سببها سوى قوله إنه شلل نتيجة لضربة على الرأس ، وأؤكد لو أني تلقيت على رأسي ضربة مثل هذه لما تمنيت أن أعيش بعد ذلك » .

ويتضمن تقرير مس برينجل عن امزوندي أيضاً بعض معلومات عن حالته الاجتماعية فيها بعض عبارات التعاطف معه . فتذكر « أنه وحيد ليس له أقارب ، وليس له عنوان ، هو واحد من بين هؤلاء الذين يأتون من مكان غير معلوم وهو متجه

أيضاً إلى مكان غير معلوم . . إن قلبي ينفطر لـه ، وأتعاطف معه لأني أدرك أنه يشعر في قرارة نفسه أن الحياة مسرعة به إلى نهايتها . . ولبس امزوندي هو الشخص الوحيد الذي يلقى مني عطفاً بل إنني أعطف عليهم جميعاً ، فالجميع يحتاجون إلى مثل هذا العطف ، وأنا لا أضيع أي وقت من حياتي إلا في خدمة الافريقيين ، لا لكي اتلقى الشكر على ذلك ، فالشكر لا يهم كثيراً ، والمهم أن يدرك الإنسان قيمة عمله الذي يؤديه ، لأنه بذلك يرضي ذاته ، وأشعر أنا أن العمل مع السود أمتع بكثير من العمل مع البيض ، فالبيض شديدو التنافر . . . » .

كتبت الآنسة برينجل هذا بعد أن تسلمت تقرير الطبيب منذ بضعة أيام ، ومنذ ذلك الوقت وهي تظهر اهتماماً زائداً بهذا النزيل امزوندي وتريد أن تكسب صداقته .. وأحس الرجل الأسود المعوق بذلك ، فقد كانت حينما تنحني بجواره لتعلمه كيف يستخدم آلة الحياكة تقترب منه كثيراً تلصق صدرها في كتفه ، وكان يشمئز من هذا السلوك ، ويحاول التباعد عنها وهي تتعجب لذلك خاصة وأن التقارير التي وصلتها عن الآخرين من نزلاء المركز لم تسبب لها مثل هذا التعاطف والاهتمام الذي توليه لامزوندي باندفاع لا تدري مصدره .

كان القلم يهتز في يدها وهي ترى منظر امزوندي وهو جالس في ركنه المعهود منحنياً على ماكينة الخياطة مائلاً بجسمه وتسائل نفسها : ما حكاية هذا الشخص ؟ إنه يحتمل عاهته بمثابرة نادرة . وتتأمل شفتيه الغليظتين فترى فيهما جمالاً ، وتتساءل متعجبة : لماذا لا ينطق إلا نادراً . ولا يقول إلا قليلاً ، وترى في وجهه عينين لامعتين ولكنهما خاليتان من التعبير . أما الجزء المشلول من جسمه فكان يتدلى من عند رقبته إلى كتفه وكأنه سيسقط في أي لحظة وسوف ينفصل عن جسده .

لم يكن امزوندي يفكر في الآنسة برينجل كثيراً ، بل كان دائماً يفكر في عظامه التي لا تكف عن إيلامه ، ولجمه الذي يضمر ، ولا يدور في ذهنه من وقت لآخر إلا ذلك الضرب المبرح الذي لاقاه في السجن . لم يضربه حُرّاس السجن ، ولكن الذي كان يضربه زملاؤه المساجين بأمر من مدير السجن ، كانوا يضربون بقسوة ووحشية عدة مرات ، كان مدير السجن وبعض ضباط السجن يسألونه عن المكان الذي خبأ فيه مبلغ المرتبات الذي اتُّهم بسرقته ، وهو ثلاثة آلاف راند فَيَرُدُّ صارخاً في وجوههم :

ـ لا أعلم . . صدقوني لا أعلم . . أنا لم أسرق هذا المبلغ ، والمبلغ ليس معي ولا أعرف عنه شيئاً .

ويقابله مدير السجن بالسباب واللّعان ثم يأمر المساجين والسجانين كذلك بإعادة ضربه ويأمرهم بالاستمرار في ضربه حتى يعترف ، فيضربونه بقسوة وتزداد قسوتهم ووحشيتهم مع سرور بالغ بما يفعلون .

كانت الشرطة قد قبضت على امزوندي بعد أن سقط صديقه قتيلاً اثناء المطاردة ، أما هو فكان قد اخفى النقود فعلاً في مكان ما في منطقة هيدلبرج ، ولكنها لم تكن المرتبات ، وإنما كانت مائتي راند فقط سرقاها من محل خمور غير مرخص . ووضعت في يديه الاغلال وساقه الشرطة أمامهم وهم يوسعونه ضرباً ، وقال له احدهم :

ـ إذا ما عرفتنا مكان النقود فسوف يكون لك نصيب منها .

لكنه لا يرد ، لن يبوح بالسر ، ولو باح به فلن يصدقوه والمحاكمات تنتظره سواء اعترف أم لم يعترف ، ومصيره السجن رقم ٤ في النهاية .

وفي المحكمة أنكر تماماً علمه بالنقود ، وأنكر معرفته بذلك الصديق الذي قتل في المطاردة ، ولم يستطع أي من ضحايا حادث السطو على المرتبات الذي اتهم فيه أن يتعرفه . وشهود الإثبات جميعهم كانوا كاذبين ، مثال ذلك مدير السجن الذي قال للمحكمة إن امزوندي أخبره بأنه أخفى النقود في مكان لن يستطيع أي إنسان الاستدلال عليه .

وكان امزوندي في قفص الأتهام بالمحكمة يتجاهل الترجمة ، وفجأة وقف وقال مخاطباً القاضي :

ـ إن هذا الشخص يكذب .

وسكت قليلاً ثم واصل حديثه الموجه إلى القاضي : ـ

ـ إن هذا الرجل هو الذي حرّض المساجين ليضربوني كي أخبرهم بمكان النقود ، ولم أخبرهم بشيء ، لانني لا أعلم شيئاً عن تلك النقود ، وأقسم على ذلك بأرواح اجدادي .

وهنا وقف مدعي الحكومة وقال صائحاً :

ـ أرجو من القاضي أن يطلب إلى المتهم التوقف عن هذه المهاترات فإني لا أحتمل مثل هذه الأمور ، ولتسأله يا سيادة القاضي لماذا لم يبلغ عن حادث الضرب في حينه .

صاح امزوندي من قفص الاتهام قائلاً :

ـ أبلغت يا سيدي في حينه ، ولكن الشرطة رفضت تسجيل البلاغ واتهموني بالجنون ، وهددوا بقتلي .

فرد المدعي قائلاً :

ـ أنا لا أجد أي سبب يدعو للتشكك في كلام رئيس السجن ، فرجل في مركزه لا يمكن أن يقول إلا صدقاً ، وحينما ينكر أنه لم يأمر بتعذيبك ، فهذا صدق .

عندئذٍ أُصيب امزوندي بالاحباط ، وغمره الحزن والصمت ، وتحدث عن طريق المترجم قائلاً :

ـ قالوا لي ، يا سيدي القاضي ، إن الابلاغ عن التعذيب والشكوى من رئيس السجن لن يجديك نفعاً ، فلا تحاول ، لأنه قد يسبب لك مزيداً من التعذيب .

وجلس في المقعد الموضوع في قفص الأتهام ممسكاً برأسه بين يديه يأساً ، ولم يسمع الحكم الذي صدر ، فقد همس به القاضي قائلاً :

ـ تبين أن الشهود الذين قدمتهم الدولة يكذبون ، ودل المجني عليهم على أشخاص مختلفين . ويحكم ببراءة المتهم .

لم يكن الحكم بالبراءة يساوي شيئاً عند امزوندي ، فقد فشل القانون كله في إنزال العقوبة بمن سببوا له تلك العاهة المستديمة .

* * *

دخل امزوندي المستشفى للعلاج ، ثم خرج منها إلى مركز التأهيل ، ومع شعوره بذلك العجز الذي أصابه كان يتذكر دائماً تلك الراندات المائتين التي خبأها في مكان ما بمقاطعة هيدلبرج ينتظر الوقت المناسب في يوم من الأيام ليستخرجها ويستأجر منزلاً صغيراً جميلاً ، ثم يرسل إلى قريته ايشاو لتحضر إليه فتاة صغيرة ممتلئة الجسم في التاسعة من عمرها ، كان قد تركها هناك عند بعض أقربائه بعد أن ماتت أمها أثناء ولادتها ، ليعيش في ذلك البيت يرعى ابنته هذه وهي تنمو وتكبر وتتضح كفتاة . .

كان ذلك كل ما يملأ تفكيره بعد أن خرج من مكتب المس برينجل ، ونظر حوله فرأى ضابط شرطة يتجه إلى باب حجرتها ويدقه ، عندئذٍ تناول عكازه وهم بالوقوف . ولكنه عاد فتردد في القيام . دخل الضابط إلى المكتب ، وبعد دقائق خرج بصحبة الآنسة برينجل ، ورآهما امزوندي يقفان أمام الباب لحظات تخيل فيها أن الآنسة برينجل تشير إلى ناحيته ، ولمح الضابط يهز رأسه وهو يغادر المكان . ولو أن الآنسة برينجيل علمت ما كان يدور بخلد امزوندي في تلك اللحظات لاخبرته بأن هذا الضابط قد أتى ليقدم لها تقريراً عن حادث السطو على مستودعات المركز في الليلة السابقة .

ظل تفكير امزوندي يدور حول الموضوع الذي يشغل ذهنه ، وقال في نفسه : « نعم إنها تعلم ، إنها تعلم وتريد هي الأخرى أن أدلها على موضع النقود . . نعم إنها تلقي بالابتسامات العاطفية ، وتدعوني دعوات أخوية . . تريدني هناك لتغرقني بالخمر فيذهب عقلي ثم تستدرجني وتعرف سني السر الدفين » .

ووقف على قدمه مستنداً إلى عكازه ، وسار نحو مكتب الآنسة برينجل وفتحه دون استئذان ووقف أمامها يقول : ـ

ـ نعم . . أجل يا سيدتي ، سأكون سعيداً بالحضور الليلة إلى منزلك . . الليلة بالتأكيد .

دهشت مس برينجل لهذا التغير المفاجيء في رأي امزوندي ، ونغمة الاصرار التي بدت في صوته . . ولكنها لم تكن تسمع تلك الأجراس التي كانت تدق في ذهن ذلك الرجل عن عشاء الساعة الثامنة تلك الليلة . .

وعاد امزوندي إلى ماكينته ، واستمع إلى نقاش يدور بين زملائه نزلاء المركز على ضابط الشرطة ، وأخذ الجميع يتهكمون ويطلقون النكات عن رجل الشرطة ، ولم يلتفت امزوندي إلى ذلك كله فقد كان كل تفكيره في المائتي راند التى ستكون معه تلك الليلة . . . ولم يلتفت إلى تهكمهم به لصمته وعدم اشتراكه معهم في تعليقاتهم . بل إنه ظن أنهم جميعاً يشاركون في استدراجه ليأخذوا منه المائتي راند .

تذكر امزوندي ما بذله من أجل المائتي راند ، وتذكر الشرطة وهي تتعقبه لمسافة أميال ، وتذكر صديقه الذي أصيب وهو يصيح قائلاً له : ـ

ـ أهرب أنت . . واتركني .

تذكر أنه هرب ، ولكنهم أمسكوا به بعد أن اخفى النقود . وتحدثت الصحف عن الحادث كأبشع جريمة سطو حدثت في جنوب أفريقيا . . وأتهم هو بجريمة لم يرتكبها ، إنما ارتكب جريمة أخرى لم يعرفوها . . تذكر ذلك كله بينما الماكينات تملأ اذنيه بصوت الكركرة المعتادة ، وهو مليء بالغضب والغيظ من الجميع الذين يتغامزون عليه ويتهكمون . . وهو يكرر في نفسه :

ـ الساعة الثامنة موعدنا . . .

* * *

قرابة الساعة السابعة مساء كان امزوندي بجوار مس برينجل في سيارتها الصغيرة ، في طريقهما إلى شقتها في حي هيلبرو . وصلا إلى باب العمارة ، واستخدما المصعد السفلي الكبير الذي يستخدم لنقل الأثاث ويستخدمه الخادم لأنه لا يستطيع صعود الدرجات إلى المصعد العادي . لم يلاحظا عند دخولهما أن بواب العمارة قد اتجه مباشرة إلى كابينة الهاتف بمجرد أن ألقيا عليه السلام .

بعد دقيقتين كان شخصان هما مس برينجل ومستر امزوندي يشتاقان منذ الصباح إلى هذا اللقاء ، منفردين في مكان لا يشاركهما فيه أحد ، هو شقة مس برينجل ، نظرت إليه الآنسة برينجل وهو يأخذ مكانه على المقعد الوتير . . . كم هو وسيم ووديع هذه الليلة بخلاف ما كان عليه في الصباح . ثم سألته :

ـ ماذا تشرب يا امزوندي .

رد عليها وهو يتحسس بيده السليمة الجيب الداخلي لسترته ليتأكد من وجود شيء مخبأ فيه :

ـ بعض الشيري يا آنسة .

وكان يقول في نفسه « بعد الشيري سينتهي الأمر » .

واتجهت الآنسة برينجل إلى النافذة تنظر من خلال ستائرها لتتأكد من عدم وجود أحد من رجال الشرطة . إنهم يعلمون أنها تستضيف من وقت لآخر بعض السود ، فهي تحت المراقبة كي يمسكو بها متلبسة بفعل فاضح مع احد هؤلاء السود . . وربما أزاحت الستائر لعل أحدهم مختبىء ليمسك بها متلبسة ، كانت مس برينجل تفكر في ذلك ، وخرجت منها الكلمات بدون قصد : ـ

ـ إنهم مساكين ، لا يتصورون أبداً أن تقوم علاقة بين رجل وامرأة دون أن تكون مشاركة في فراش ووسادة . . . على كل حال لا يوجد أحد الليلة ليزعجنا .

تنبه امزوندي لكلامها وسألها :

ـ من هؤلاء ؟

قالت :

ـ لا تهتم بالأمر ، انني فقط افكر بصوت مرتفع . المهم أن تسترخي وتحدثني عن نفسك : اين ولدت ؟ أسرتك وغير ذلك من جوانب حياتك .

قال في نفسه « إنها تكذب . . لا بد أنها ذهبت إلى النافذة كي تعطي الاشارة إلى رجال الشرطة . . إنها حقاً حقيرة » . قال ذلك وهو يضغط بشدة على عكازه من الغيظ ثم قال لها : ـ

ـ يا آنسة برينجل ، إن ركبتي تؤلمني ، وتحتاج إلى تدليك ، فهل لك أن تدلكيها لي قليلاً . . إن رجلي ستظل تؤلمني حتى أموت .

فردت عليه قائلة :

ـ بكل سرور .

واتجهت إليه فوراً ونزلت إلى الأرض بجواره وانحنت على ركبتيه تدلكهما بيديها الناعمتين ، وفجأة أخرج من جيبه ذلك الشيء . . آلة حادة وطعنها طعنة قوية خلف رأسها المنحنية بجنان على فخذه ، فخارت وسقطت على الأرض ، فأتبعها بطعنة أخرى ، واتجه من فوره إلى الأنوار فاطفأها ، واتجه إلى الباب فخرج واخذ معه المفتاح ، وأغلق الباب من الخارج ورمى المفتاح بعيداً ، ثم نزل ومر بالبواب ووضع في يده ورقة من ذات الخمس شلنات وقال له : ـ

ـ خذ هذه ولا تخبر أحداً بأنك رأيتني الليلة . وسأعطيك المزيد غداً إذا لم تفتح فمك .

قبض الحارس على الورقة وقال : ـ

ـ أنت تتكلم الزولو يا أخي .

ووضع الورقة مع الورقة الأخرى التي سبق أن أخذها من ضابط الشرطة . ثم ابتعد عن العمارة واختفى بقية الليلة .

أما امزوندي فقد ابتعد كذلك عن العمارة وكانت أجراس المائتي راند ترن في رأسه ، والشقة الصغيرة ، وابنته الصغيرة البدينة ، وقرية ايشو . .

* * *

صعد الضابط إلى شقة الآنسة برينجل ، ووقف أمام الباب ، ودقه فلم يجبه أحد ، وأخرج من جيبه مفتاحاً كانت الشرطة قد عملته لفتح الشقة ، وفتح الباب ، ودخل وقد امتلأ شعوراً بالانتصار فسوف يفاجيء الآنسة برينجل في الوضع الذي يريده . . عارية بيضاء في احضان رجل اسود . . جريمة شنعاء ، وسيحصل على الترقية . . سيأمر الشرطيّين المختبئيْن خلف ستائر حجرة النوم بالخروج ليسجلا شهود الجريمة . . .

لكنه لم يجد الجريمة التي يريدها . . وجد الآنسة برينجل غارقة في دمائها .

وقف الضابط مذهولاً لحظات . . ثم أفاق ليطلق صفارات هيستيرية وهو يجري هابطاً إلى الشارع ، ويتجه عبر الخرائب إلى محطة السكة الحديدية ، كان غاضباً لأن هذه البيضاء الفاجرة قد خذلته . . لن يحصل على الترقية ، وسوف ينتقم .

سمع امزوندي الصفارة الهيستيرية بعد أن كان قد ابتعد بضع مئات من الأمتار ، كانت الساعة قد قاربت الثامنة ، وهو موعد العشاء . ثم رأى ضابط الشرطة يجري متجهاً نحوه مقترباً منه ، فأخرج من جيب سرواله مسدساً ، واستدار ليطلقه على الضابط ، ولكنه اصطدم بجذع شجرة كبيرة على منحدر جسر السكة الحديدية وشعر بالألم يشتد في قدمه ، فخارت قواه وسقط المسدس من يده وسقط على الأرض تحت الشجرة ، وأخذ يحفر ، وقد خارت قواه ، ليستخرج المائتي راند . . ومرت أمام عينيه كل حياته ومتاعبه وهو يشعر بهبوط في داخله زاحفاً عليه ، وابنته تتراءى أمام عينيه . . وقريته ايشاو . . . وآماله . . وآلامه .

وفي الساعات المبكرة من صباح اليوم التالي عُثر عليه وذراعاه تحتضنان جذع الشجرة . لم يكن هناك ما يدل على هويته ـ من أين جاء ؟ وإلى أين كان يسير ؟ . كل ما عُرف عنه أنه قتل مسز برينجل التي دعته إلى عشاء الساعة الثامنة مساء أمس .